



في نشوة الحياة وبسطة السلطة والنفوذ قد تختلط الأوراق على النفس البشرية الضعيفة، وتحتلط أيضاً معها الحقائق بل المسلمات والبديهيات، حتى تصاب بنوع من عمى البصيرة، أو نوع من الرؤية بالمقلوب لترى المواقف على غير ما عليها بالحقيقة، وهنا تتوجب النصيحة من كل المحظيين، لعل النفس تفيق من سكرتها وترتد إليها بصيرتها، فتدرك الواقع، وتحسن التصرف قبل فوات الأوان.

وهذه الحالة الاضطرابية تنطبق بحذافيرها على الرئيس السوري بشار الأسد، الأمر الذي قرر معه فتح نيران المدفعية الثقيلة على أبناء شعبه، فأردى منهم حتى الآن أكثر من خمسين ألف قتيل، فضلاً عن الجرحى والمصابين.

من هنا وجبت المكافحة، وإرسال النصيحة تلو النصيحة، والرسالة عقب الرسالة، وإن كان في طياتها بعض القسوة والفاظطة فهذا ما يقتضيه واقع الحال، كأشبه ما يكون الصاعق الكهربائي الذي يضعه الطبيب على صدر المحتضر لعله يستفيق وتعود إليه ضربات قلبه ونسمات روحه من جديد.

الرئيس بشار... ولدت وفي فمك معلقة من ذهب كما يقولون، فلقد ولدت ليس في قصر الرئاسة ولكن في قصر الملك، لأب ملك وإن سمي نفسه رئيساً للجمهورية العربية السورية ..

ملك من نوع سلطي، تملك بمنصبه سوريا كلها بشعبها وثرواتها ومقدراتها، وصار هو كل سوريا، فترعرعت في ظل الدكتاتورية التي لم تعرف غيرها، فوجدت في صباك ضابطاً رفيعاً بالجيش العربي السوري يفتح لك باب السيارة، وخادمة حسناء تكون بجوارك لا تنام عينها وأنت تغط في نومك، وأمانيك تتحقق قبل أن تكتمل معالمتها في مخيالك، وللدنيا عندك وجه واحد لا وجه سواه، هو وجه الخضراء والنعيم والتمتع والرفاهية.

كان أخوك الأكبر هو محط أنظار الجميع، فهو ولـي العهد، والمشرف برعاية كل أساطين السياسة في القصر الجمهوري بدأ من الوالد المخضرم إلى أصغر فرد في الطغمة السورية الحاكمة، لكي يقود إرث سوريا بعد الوالد الفرعون الكبير، ولكن

كان للأقدار حكما آخر، فلقد مات الدكتاتور الصغير في حادث سيارة مروع، واضطربت الترتيبات، فاستدعاك الوالد من بريطانيا وأنت طبيب العيون الماهر المسالم، ولا عهد لك بسياسة ولا قيادة، وأوكل لك ما كان مدبراً لأخيك، ثم كان للأقدار حكما آخر، حيث مات الوالد على عجل، وسنك لا يناسب رئاسة الملك حسب دستور البلاد، فما كان من الطغمة الحاكمة إلا أن غيرت الدستور ليناسبك أنت وحدك في أقل من نصف ساعة.

\* \*\*\* أي دنيا هذه التي لانت لك علينا، وخضعت لك خصوصاً، لم يناله نبغي مرسل ولا ولبي مصطفى ..  
وأي أيام تلك التي تضحك لك سنوات وسنوات مديدة ولا ترىك أحزانها ولا أتراحها، برغم أن كل البشر عهدها دنيئة، لا تستقيم على حال، وبقدر ما تضحك مرة تبكيك مرات، وإذا أسعذتك نوبة تشقيق نوبات.

لقد غدرت بك الأيام على غرة، وتنكرت لك الأحداث على غفلة، فالشعب الذي لم تشعر به يوماً قد انتقض، وعلا صوته، وأنت الذي لم تسمع له صوتاً أبداً، وهذا يرافقك في أوامرك وذاك يحركك وآخر يتبرأ منك، وأنت الذي كانت أعين الجميع معقودة على بنانك الصغير تنتظر أي إشارة منه لتلبي رغبته في سرعة البرق، وأنت الذي لم تسمع آذانك غير التصفيق الحار على كل جملة تخرج من ثغرك البسام، وأنت الذي لم تعرف الحواجز يوماً ولا العقبات ولا المعارضات ولا المناكفات ولا المنفصالات.

لكن من الحكمة اليوم أن تكون ابن المرحلة، ورجل الواقع، وتسأل نفسك بجرأة:  
لماذا تغير الحال؟ وتبدل الأيام؟ وانتفضت الجماهير؟

والجواب لا يحتاج إلى قريحة فذة ولا عقلية جبار، إنما يحتاج نبرة صدق ورؤيه حق.. إنه "الظلم" يا سيادة الرئيس، الظلم الضارب في أعماق القطر السوري من أيام الوالد (حافظ الأسد) صاحب مذبح حماة التي سميتها أنت "إنجازات" !!..  
وهددت الشعب السوري إبان انتفاضته أن تعيد أمجاد والدك في حماة، الظلم الذي دفعك لأن تضرب الأبرياء ذوي الصدور العارية بالمدفعية الثقيلة، وتهدم المآذن بطلقات مدافعك، وتجعل المعذبين يقولون: "لا إله إلا بشار"، ويُسجدون لصورتك ..  
صدقني إن أنا ملي ترجف وأنا أكتب هذه الفظائع، لكن المشكلة أنك تجاوزت بأزمتك حدود دماء شعبك، ووضعت نفسك في أزمة مع الله عز وجل بجبروتك، وصدق فيك قول الله تعالى: {وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَارِينَ} [الشعراء: 130]  
هل الله عز وجل يحارب؟

وهل من حارب الله ينتصر؟ .. حاشا لله .. كلا وألف كلا.

قال تعالى: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} [البروج: 12]

ولذلك إننا على يقين لا يتعريه أدنى شك أن الله سيرينا فيك آية من آياته، وقدرة من قدراته، وعجبية من عجائبه، وما حتف القذافي منك بعيد، {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ اللَّهُ شَدِيدٌ} هود: 102  
لقد وضعت نفسك في فخ لا فكاك منه، ومصيدة أشبه بمصيدة العنكبوت كلما تحركت فيها أدنى حركة - ولو قيد أنملاة - إلا والتفت عليك أكثر وتعقدت أكبر، فاستطابتكم دماء الأبرياء جرم فاحش، فما بالك بالتطاول على الله، ونقد العهد الذي أولاك إياه من رعاية هذا الشعب.

لقد توعدت خصومك بأنك ستحرق المنطقة بأكملها، وكأنك تسير في طريق حتفك سيراً لا رجعة منه، ورغم كل العروض المغربية لك بترك السلطة والعيش آمناً في أحد الدول في بحبوحة من العيش، إلا أنك ركنت إلى قوتكم، وهان عليك كل شيء في سبيل كرسي حتماً أنت مفارقه، وأخذتك العزة بالإثم، فلا تفزعك صرخات المجرورين ولا دعوات المظلومين ولا آهات المكلومين، ورکنت إلى آراء المضللين من حولك بأن الجيش ما زال متماسكاً وموالياً، لكن متى توهـبـ الجيوشـ الأمـنـ الدـائمـ

للطالمين، وتعصم الطفاة من أخذات رب العالمين، وما مصارع الجبارين بخافية عليك.

..... الرئيس بشار: لقد سبق السيف العذل، فلقد تعجلت نهايتك المأساوية، وحكمت على نفسك بلعنات التاريخ الأبدية، والأيام القليلة القادمة حبلٍ بشرٍ مصير لك، فارتقب إنما مرتقبون، {وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ} إبراهيم:42.

المصادر: